٤٣

مدرسة دار الحكمة للعلوم الإسلامية

مركز دار التقنية والدراسات الإسلامية

محاضرة مكتوبة

تكليف المؤمن في عصر الغيبة

سماحة
السيد أحمد الحكيم

-٢٠٢٤-

تكليف المؤمن في عصر الغيبة

تعريف البحث:

تقرير لمحاضرة السيد أحمد الحكيم في مركز مدرك للتنمية والدراسات الإسلامية يتناول وظيفة المؤمن ومسؤوليته في عصر غيبة الإمام المهدي (عجّل الله فرجه)، ويهدف إلى توعية الفرد المؤمن بضرورة بناء ذاته إيمانيّاً وأخلاقيّاً واجتماعيّاً في زمن الامتحان والاضطراب.

يبيّن التقرير أنّ عصر الغيبة ليس زمن انتظارٍ سلبي، بل هو عصر بناء الإنسان الصالح القادر على تحمّل المسؤولية، من خلال الارتباط بالعلماء ومراكز المعرفة، وتطوير الثقافة الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

كما يوضّح أنّ الرجولة المسؤولة والقيادة الأسرية الواعية تمثّل جوهر التكليف في هذا العصر، داعيا إلى تنمية الوعي والبصيرة والتوازن في السلوك، مستندا إلى كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) كنموذج للإنسان المؤمن الكامل.

تكليف المؤمن في عصر الغيبة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين من الأولين إلى قيام يوم الدين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تقبل الله أعمالكم، وزيارتكم لهذه البقعة الطاهرة، بقعة مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام)، التي لا يضاهيها شرف سوى بقعة رسول الله (صلى الله عليه وآله). وبالتالي رزقنا الله وإياكم شفاعته، والسقاية من يده، وشفاعة أولاده، وشفاعة ابن عمه، والكون معهم في الجنان والجنة بفضلهم.

لابد أن أكون سعيداً وفي درجة من الغبطة أنني بين يدي مجموعة من المؤمنين تركوا منازلهم وديارهم وأتوا ليطلبوا العلم. وبالتالي قطعوا المسافات لأجل أن يستمعوا إلى كلمة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء.

ولابد أن أحيّي وأن أشدّ على أيديكم أن تستمر هذه الخطوات منكم، إن كان بهذا الطريق عبر هذه المؤسسة الكريمة[1]، وإن كان بطرق أخرى، وإن لم يكن فكلٌ بمفرده، فكلٌ بسعيه. لأنه لا ملجأ لنا في هذه الأيام العصيبة إلا أهل البيت (عليهم السلام)، ولا ملاذ لنا سوى قبورهم وسوى علومهم وسوى العلماء الصالحين الذين جعلهم الله سبحانه وتعالى

[1] - مخيم ثقافي أقامه مركز مدرك للتنمية والدراسات الإسلامية التابع لمؤسسة دار الحكمة في النجف الاشرف استضاف فيه مجموعة من النخب الشبابية من محافظة ميسان قضاء الكحلاء.

رحمة لهذه الأمة وفي هذه الغيبة العصيبة التي تمر على هذه الطائفة الممتحنة المظلومة، التي لخصوصية وعناية بها خصها بامتحانات كثيرة.

فنحن في هذا الزمان وفي هذا الظرف لابد لنا من أن نهتم بالتواصل مع مراكز العلم. بالحقيقة، هذه الفترة من عمر الطائفة وهذه المحنة التي نحن فيها، ليست غريبة علينا، وليست بأول محنة، ولن تكون آخر محنة. وبالتالي فنحن بتاريخنا جُبلنا على هذه المحن.

لعل مشكلة الإنسان بالحقيقة أن عمره صغير قصير، سبعون سنة. هو لا يرى من الدنيا سوى سبعين سنة. لكن هذه السبعون سنة بالتأكيد لن تمر عليه فيها جميع دورات الامتحان. فكل امتحان يحسبه نهاية المطاف، ولكن إذا نظر إلى ٧٠٠ سنة، نظر إليها ١٠٠٠ سنة، يرى أن القضية ليست بهذه الطريقة، وليست بهذه الصورة المتصورة.

مشكلة الإنسان هذه القضية أنه في الحقيقة أنا أمثّل لكم بمثال: أنتم الآن إذا واحد يصعد إلى مدينة الألعاب، انظر إلى الطفل أو الشاب الذي يصعد عربة الموت مثلاً، الآن يتصور أن كل صعدة

أصعب شيء، بينما هي في الحقيقة هي كم مرة تصعد وتنزل؟ لماذا؟ لأنه أنت لا ترى الصورة كاملة، أنت لا ترى الشريط كاملاً، أنت ترى معيشتك بهذه اللحظة الزمنية. ولذا لماذا على الإنسان أن يقرأ وعليه أن يتثقف وعليه أن يراجع التاريخ؟ لأن في مراجعة التاريخ عِبرة من ناحية أنه يجب أن يكتشف هذه النقطة. أي، قراءة التاريخ تعطيه حالة

من الوعي والبصـــيرة وبالتالي هذه النقطة: أنه لا يرى نفســـه هو الدنيا بأكملها. يقول لك: "نحن أين كنا وأين صرنا؟ وهذه انظروا الآن أتتنا مصـــيبة عظمى، هي هذه التي لا بد أن تكون الخاتمة".

كلمة "لا بدّ" الله ســـبحانه وتعالى فقط هو الذي يعلم كم مرة أطلقها البشـــر في التاريخ.

اســـمحوا لي أن أرشـــدكم الآن إلى شيء معين، إذا تقرؤون شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي. ابن أبي الحديد وفاته ســـنة ســـقوط بغداد ٦٥٦ هجري. انظروا كيف يكتب عن تقدم المغول. بدأت البلدان الإســـلامية تســـقط واحدة تلو الأخرى بتســـلســـل مرعب. وبالتالي، أنه "الآن وصـلنا إلى نهاية الإسـلام". المسـلمون لم يكونوا متخيلين حالة الانهيار هذه. يحكي لك تفاصيل وصور مرعبة عن وضع الإسلام.

وسـبحان الله! الدولة المغولية، حفيد هولاكو صـار شـيعياً. وتبين أن هذه الموجة، هذه الموجة المهولة التي وردت على الإسلام (طبعاً حتى الشيعة منهم كانوا في حالة رعب، المســـلمون بكل أطيافهم، بالتالي هؤلاء وثنيون هجموا على ديار الإســـلام هجمة واحدة وبسـقوط سريع) إلى أن وصـلوا إلى دار الخلافة وقضـوا على دار الخلافة، وانتهى الإسـلام، ووصـلنا إلى مسـتوى لم يكن المسـلمون يتخيلون أنهم سـوف يصـلون إليه. شيء مرعب مخيف.

أتمنى تقرؤون هذا الفصـل موجود في شرح نهج البلاغة. وهناك كتاب مُسـتل يقول لك إنه استل كتاب غزوات المغول.

ولكن المغول بالنتيجة الأخيرة ساهموا في أن الهند أصبحت مسلمة بفضل المغول. المسلمون لم يحكموا الهند إلا عن طريق المغول.

المغول هم الذين غزوا الهند، وعندما غزوا الهند تحولوا إلى الإسلام فيما بعد، وأصبحوا هم حكام الهند.

والذي شيّع إيران هو غازان حفيد هولاكو. هذه القصة[٢] المعروفة التي كان العلامة الحلي (رحمه الله) في قصة معروفة دخل في مناظرة فقهية معينة في قضية الطلاق، واقترح عليه اقتراحاً، وبركات هذه القصة أصبح غازان شيعياً. ثم ابن غازان، محمد خدابنده، فرض المذهب الشيعي في إيران.

المسلمون السنة كثيراً ما يتهجمون على محمد خدابنده، أصحاب التاريخ السني، أصحاب التاريخ الإسلامي (المؤرخون المسلمون من أبناء العامة) يتهجمون بشدة، يفسّقونه، يكفّرونه، يلعنونه، يشتمونه، يصفونه بشتى أنواع الأوصاف. لا أقول بأنه حاكم عادل، أنا لا أتكلم بهذا الكلام، لكن أقول بالنتيجة أنه حفيد هولاكو، ابن حفيد هولاكو، محمد ابن غازان (محمد خدابنده)، هو الذي حوّل أو فرض المذهب الشيعي في إيران، وبنى

---

[٢] - قيل: إنّ الشاه خدابند السلطان غياث الدين، المعروف خدابند (عبد الله)، ملك العراق وخراسان وأذربيجان، غضب يوماً على زوجته وقال لها: أَنتِ طالق ثلاثاً، ثمّ ندم وجمع العلماء، لإيجاد مخرج لإرجاعها في عصمته، فسألهم ما الوجه في ذلك.
فقال العلماء: لابدّ من المحلّل، فقال الشاه: عندكم في كلّ مسألة أقاويل أو ليس لكم هنا اختلاف؟
فقال العلماء: لا، فقال وزير الشاه: إنّ عالماً بالحلّة - يقصد (العلّامة الحلي) - يقول ببطلان هذا الطلاق.
فأمر الشاه بإحضاره، فقال العلماء: إنّ له مذهباً باطلاً، وهو رافضي ولا عقل للروافض - اسم أطلق على الشيعة من مبغضيهم للاستهانة بهم، بسبب موالاتِهم علياً وأهل بيته (عليهم السلام) - ولا يليق بالملك أن يبعث بطلب رجل خفيف العقل، قال الشاه: بل لا بدَّ من حضورهِ، وفي أثناء هذا دُعي جميع علماء المذاهب الاربعة.
فلمّا دخل العلّامة أخذ نعليه بيده، ودخل المجلس، وقال: السلام عليكم، وجلس عند الملك، فقال العلماء للشاه: ألم نقل لك إنّهم ضعفاء العقول، قال الشاه: اسألوه في كلّ ما فعل، فقال العلماء للحلي: لِمَ لَمْ تسجد للملك؟ قال العلامة الحلي: إنَّ رسول الله(صلى الله عليه وآله) كان ملكاً وكان يُسلم عليه، وقال تعالى: (فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً)، ولا خلاف بعدم جواز السجود لغير الله، فقال العلماء: لِمَ جلست عند الملك؟ قال الحلي: لم يكن مكان غيره، فقال العلماء: لِمَ أخذت نعلك معك، وهذا ممّا لا يليق بعاقل؟ قال الحلي: خفت أن يسرقه الحنفيّة كما سرق أبو حنيفة نعل رسول الله!!
فصاح ممن هو حاضر من الحنفيّة: حاشا وكلاّ، متى كان أبو حنيفة في زمان رسول الله (صلى الله عليه وآله)، بل كان تولّده بعد المأئة من وفاته، فقال الحلي: نسيت لعل السارق كان الشافعي! فصاح ممن حضر من الشافعيّة كذلك، وقالوا: تولّد الشافعي في يوم وفاة أبي حنيفة، ونشوه في المأئتين بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله)، فقال الحلي: لعلّه كان مالكاً! فصاحت المالكية كالأوّلين، فقال الحلي: لعلّه كان أحمد! ففعلت الحنبليّة كذلك.
فقال الحلي للشاه: أيّها الملك علمت أنّ رؤساء المذاهب الأربعة لم يكن أحدهم في زمن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولا الصحابة، فهذه إحدى بدعهم أنّهم اختاروا من مجتهديهم هذه الأربعة، ولو كان فيهم من كان أفضل منهم بمراتب لا يجوّزون أن يجتهد، بخلاف ما أفتى واحد منهم، فسأل الملك الحاضرين: ما كان واحد منهم في زمان رسول الله (صلى الله عليه وآله) والصحابة؟! فقال الجميع: لا، فقال الحلي للملك: ونحن معاشر الشيعة تابعون لأمير المؤمنين (عليه السلام) نفس رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأخيه وابن عمّه ووصيّه، وعلى أيّ حال فالطلاق الذي أوقعته باطل لأنّ شروطه لم تتحقّق، ومنها العدلان، فهل قال الملك بمحضرهما؟ فقال الملك: لا، ثمّ شرع الحلي في مناقشة العلماء فسأله أحدهم ويدعى الموصلي وهو من الأشراف: ما الدليل على جواز الصلاة على غير الأنبياء؟ قال الحلي: (الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ)، فقال الموصلي: ما المصيبة الّتي أصاب آله حتّى تستوجب لها الصلاة؟ فقال الحلي: من أشنع المصائب وأشدّها أن حصل من ذراريهم مثلك، الّذي يرجّح المنافقين الجهال المستوجبين اللعنة والنكال على آل رسول الملك المتعال.

أول مدينة شيعية، مدينة كاملة شيعية. وكان من وجهة نظره أنه ينقل كربلاء والنجف إلى تلك المدينة، أنه ينقل قبور الأئمة كلهم يجمعهم في مدينة واحدة (هكذا كانت عنده فتة عقلية خاصة، على كل حال).

بالتالي جرى الكلام شيئاً فشيئاً إلى أن وصلنا بالطريق إلى أنه الدولة الصفوية ورثت مشاكل الدولة الإيلخانية التي هي الدولة المغولية. الدولة الإيلخانية عمرت المشاهد في العراق وعمرت سنوات، وهي تهتم بالمشاهد وترعى العلماء وتفاصيل كثيرة. وبالتالي، أنه لا نعلم أن الامتحان إذا أتى ما هي نتائجه وما هي تفاصيله. وكل من يظن أن هذه الكلمة سوف تفنى، سوف تتضرر، سوف تباد، فهو واهم. وكل من يوقّت، فهو أوهم، فهو في وهم أكبر.

أنا أعطيكم مثالاً: تعلمون أنتم أن من العلامات المهمة الموجودة في الروايات الصحيحة للظهور هو زوال دولة بني العباس. زوال دولة بني العباس يعني بين عصر الإمام الصادق (عليه السلام) (عصر صدور هذه الرواية، والإمام الصادق وفاته سنة ١٤٨ أو ١٤٥) وسقوط الدولة العباسية سنة ٦٥٦.

٤٠٠ سنة كاملة تقريباً بين صدور هذه الروايات وبين سقوط الدولة العباسية،

بالتالي كلهم توقعوا أنه سقوط بني العباس، هذه الروايات موجودة، وحينئذ لابد أن يكون الظهور بعدها. ونحن من سقوط الدولة العباسية إلى اليوم ٦٥٦، تقريباً صار لنا كم سنة؟ ٨٠٠ سنة تقريباً.

بالتالي كل من يعطيك مواقيت ومواعيد الروايات الشريفة تتكلم عن علامات ظهور حتمية. علامات الظهور الحتمية مذكورة موجودة، وبالتالي الله سبحانه وتعالى سوف لن يُظهر حجته إلا أن تكون حجة واضحة للناس لا يختلف فيها اثنان. يسمع كل ذي لسان

بلسانهم. الصيحة يسمعها كل أناس بلسانهم، كل أهل لسان بلسانهم، لكي تكون الحجة واضحة أنه قد قام القائم.

فنحن لا نتكلف عن الله سبحانه وتعالى تأويل وتفسير وجمع أخبار ونأتي من هنا رواية ونضع من هنا رواية. الله سبحانه وتعالى سوف يغنينا عن هذا الأمر إن جاء وقته الذي سوف يجيء إن شاء الله تعالى.

بالتالي، أنا أتكلم بصورة واضحة:

النقطة الأولى: لا نعلم الامتحان بعده فرج ومصلحة لأهل الإسلام وللإسلام الحقيقي المحمدي الصافي.

النقطة الثانية: يجب ألا نغرق في عالم التوقيت ونربك أنفسنا ونغفل عن القضية المهمة الأساسية التي سوف أتحدث بها بعد قليل. الغرق في عالم التوقيت والغرق في عالم الروايات والغرق في عالم جمع الدلائل، الله سبحانه وتعالى سوف يكفي الناس عنه. الحجة إن قامت تكون واضحة لا يختلف فيها اثنان إلا المعاند المكابر.

النقطة الثالثة: التي سوف أتحدث عنها بشكل واضح وأختصر، لأنه لا أريد أن أطيل عليكم:

ما هي وظيفتنا في عصر الغيبة؟ ماذا يجب علينا في عصر الغيبة؟

عصر الغيبة في الحقيقة عصر بناء الإنسان، بناء النفس، بناء الشخصية، بناء الذات. أنت عليك أن تبني نفسك. عليك أن تجتهد وتعمل وتشتغل وتبذل كل غالٍ ونفيس من أجل بناء نفسك.

أنا أتكلم معكم أنتم الرجال، أنتم الشـباب، أنتم أصـحاب الطاقات. نحن في عصرـ الغيبة، كما قلت لكم، بناء الإنسـان. ومن أهم عوامل بناء الإنسـان بناء شـخصـية الرجل المتكاملة.

مشـكلتنا في هذا العصرـ، مشـاكلنا الأسرية والاقتصـادية والسـياسـية كلها ترجع إلى مشكلة الفرد، لا سيما الإنسان الرجل. عندنا في هذا الزمان الرجل نلاحظ أنه بدأ يتخلى عن مسؤولياته، بدأ يُقصر في مسؤولياته.

أنتم أصـحاب عوائل. العائلة أسـاس المجتمع. أسرة عائلة ضـعيفة يعني مجتمع ضعيف، عائلة متفككة يعني مجتمع متفكك، عائلة فقيرة يعني مجتمع فقير، عائلة مريضة يعني مجتمع مريض. رجل ضـعيف يعني عائلة بلا إدارة، يعني مجتمع بلا إدارة. رجل ضعيف يعني أولاد منفلتون، نساء خارجات عن السياقات، عائلة خارجة عن السياقات، بسبب مديرة العائلة ضعيف.

أسـاس العائلة، فلك العائلة هو رب الأسرة، رب العائلة. "الرّب" بالمعنى اللغوي يعني سـيد الأسرة. أنت رب أبنائك، أنت رب زوجتك، أنت رب عائلتك. إذا كنت ضـعيفاً، كانت عائلتك لا تؤدي المستوى أو النتيجة المطلوب منها التي فرضها الله سبحانه وتعالى عليك وعلى الأسرة. أسرة ضـعيفة يعني أولاد لا مسـتقبل لهم. أسرة ضـعيفة يعني مشـاكل أسرية. أسرة ضـعيفة يعني بنات لَسْـنَ أمهات صـالحات في المسـتقبل، لَسْـنَ مُنتِجات صالحات لهذا المجتمع.

فالمسـؤولية تقع عليك أنت. كل واحد منكم هو المسـؤول بالدرجة الأولى. اهتموا بهذه النقطة، خير لكم بكثير من ترك الأمور الثانوية والذهاب إلى عناوين الله سـبحانه وتعالى تكفل بها.

أتكلم عن ثلاث نقاط، عليك أولاً:

١. ثقافتك الشخصية: يعني ثقافتك الدينية، حلالك وحرامك ومفاهيمك.

٢. ثقافتك الاجتماعية: ذكاؤك الاجتماعي، التواصل مع أقربائك، مع أهلك، تتفاعل بشكل إيجابي مع محيطك، جيرانك، أقاربك، عشيرتك، أمك، أبوك، إخوتك، عملك، شركائك في العمل، تتفاعل معهم بشكل إيجابي. ولكل نقطة جلسة خاصة بها، بحث خاص به، لكن أنا أشير إلى نقاط وظيفتك بالدرجة الأولى

٣. الجنبة الاقتصادية: التي عليك أن تتحملها. عملك أين؟ هل تنتظر رزق الدولة وتترك رزق الله سبحانه وتعالى؟ هل تنتظر أن يتصدق عليك المسؤول الفلاني ولا تنظر إلى عين الله سبحانه وتعالى وتبدأ وتعمل وتشتغل وتتفاعل بشكل صحيح وتكسب رزقك بشكل صحيح؟ أم تنتظر الحد القليل الذي هو في الحقيقة متلف لطاقاتك؟ أم أنك تُخرج طاقاتك بشكل صحيح وتذهب وتعمل وتخرج إلى السوق وتُنتج وتحوز المال حوْزاً! اختر، تريد هذه أو تريد هذه. تريد أن تصير موظفاً كسولاً أو تريد أن تصير ناظراً إلى عين الله سبحانه وتعالى؟ والله سبحانه وتعالى سوف لن يخيب عبده. من توكل على الله كفاه وأكفى غيره به. يكون رزقك هو رزق كل من يتعلق بك ورزق عائلتك إلى ذريتك إلى مدة طويلة إذا أنت كنت متوكلاً على الله سبحانه وتعالى.

٤. ثقافتك السياسية: وعيك السياسي، يعني تفاعلك مع المشاكل السياسية للمجتمع. تكن واعياً، لا تنجر خلف كل فتنة، لا تكن رجلاً خفيفاً وراء كل صائح ومنادٍ. تتفكر وتكون على قدم ثابتة، هذا هو الوعي السياسي. وحينما تُقدم تكون شجاعاً، وحينما تتجنب لا تتجنب عن خوف، وإنما عن بصيرة.

ولذا، النظر إلى الشؤون السياسية شيء مهم جداً. ما المقصود بالشؤون السياسية؟ لا أقول لك صِرْ حزبياً. قصدي أقول إنه أنت تكن على بصيرة من مجتمعك ومن حولك،

لأنك أنت جزء فعّال في هذا المجتمع. فإن أقدمت، تُقدم على بصيرة، وإن تجنبت، تتجنب على بصيرة كذلك.

تلاحظون؟ إذاً، المشكلة الكبرى التي نعاني منها اليوم في عصرنا الحاضر هو مشكلة الرجولة في المجتمع. الرجال لا يأخذون دورهم بشكل صحيح، الشباب لا يأخذون دورهم بشكل صحيح. إذا تخلّى الرجل عن دوره في الأسرة وفي المجتمع، ظهرت عندنا المشاكل الاجتماعية.

تأمّلوا وفكروا: لو كان هنالك رجل صحيح وحكيم ورجل واعٍ وفاهم ورجل قادر على استيعاب أسرته، يَمُد جناحيه على أسرته، يضمّهم ويرعاهم، ويُشبع عاطفتهم برحمته وعاطفته بأبوته بأمانته، هل تكون عندنا مشاكل اجتماعية؟ هل تكون عندنا مشاكل أسرية؟

هذا الشاب إذا نشأ تحت أب رحيم، مُتابع، فاهم، واعٍ، ذو بصيرة، هل تصير عنده مشاكل اجتماعية بعد؟ هل تصير عنده عقد نفسية؟ ينحرف عن الطريق؟ البنت إذا نشأت تحت أب فاهم وواعٍ، الزوجة إذا نشأت تحت زوج فاهم وواعٍ، مثقف ثقافياً ونفسياً واقتصادياً وسياسياً، مثقف، رصين، قوي الشخصية.

قوي الشخصية لا يعني أنه يضرب، لا يقسو، لا يكون جباراً في الأرض. ليس هذا هو المقصود بقوي الشخصية، ليس ظالماً، ولا دكتاتوراً، ولا يتبع العقلية أو البطش الحيواني أبداً. قوي الشخصية يعني يضع الأمور في موضعها، يضع الأشياء في مواضعها. يتعامل بحكمة حين الحكمة، ويتعامل بصرامة حين الصرامة، ويتعامل بلين حين يحتاج ذلك. ويكسب عائلته، يكسب أولاده، يكسب بناته، يكسب أمه، أباه، إخوته، شركاءه.

هذا هو الإنسان الذي يجب أن يكون في عصر الغيبة، بل في كل العصور. ولكن بالتالي، عصر الغيبة هو عصر بناء شخصية الإنسان. ونتوكل على الله سبحانه وتعالى، فإن

حانت الساعة فنحن أهلها، فنحن رجالها، لأن كل شخص منا هو مؤمن صالح. وبالتالي المؤمن الصالح فيه كمال الرجولة، الرجولة بما تحمله من معانٍ سامية، من معانٍ صحيحة مؤثرة.

كثير من المشاكل الاجتماعية تصل بين فترة وأخرى إليَ وإلى غيري، في ضمن ما يصلني من مشاكل اجتماعية، سببها، السبب الأساسي هو أن الرجل في الأسرة مشوش. إما ضعيف في ثقافته الدينية فلا يختار زوجة صحيحة، أو فلا يربي، أو فإن اختار فلا يديم علاقته مع زوجته بشكل صحيح، أو فلا يربي بشكل صحيح. يُنجب الأولاد، يطعمهم ويكسوهم، ولكن لا يغذيهم بتربية صحيحة. التربية شيء، وتكسو وتطعم شيء آخر. هذا شيء وهذا شيء آخر. معنيان يلتقيان، لكن قد يفترقان أيضاً.

أنت كل فرد منكم أين من هذه المعادلة؟ أين من هذه المعادلة؟ عليه أن يفكر بشكل صحيح، بشكل واعٍ، بشكل فاهم للمشكلة الحقيقية في هذا الزمن. المشكلة هو أنت، والحل هو أنت.

المشكلة في الحقيقة، كل فرد منكم هو المشكلة، وكل فرد منكم هو الحل أيضاً. انظر إلى مشاكلك، سوف تجدها كلها تنتهي إلى هذا المفرق الاجتماعي. انظر إلى مشاكل الأُسر التي أنتم تعيشون فيها، كله سوف يرجع إلى هذا المفرق الاجتماعي: ضعف في الثقافة الدينية أو ضعف في الثقافة الاجتماعية

(ذكاء اجتماعي غير موجود)، سوء إدارة، اختيار غير صحيح، أو كان اختيار صحيح فإدامة الاختيار غير صحيح، إدامة العلاقة غير صحيح.

بالتالي مشاكلكم، مشاكلنا بالعمل، ما هي مشاكلنا بالعمل؟ كلها مختلة أيضاً. لو كان هنالك توكل على الله صحيح وجد ومثابرة وذكاء في العمل، سوف تجد هذا الفرد فرد

مُنتج، فعّال، مستغل لوقته، ليس عطّالاً، ليس بطّالاً، ليس يهدر عمره يميناً ويساراً، وإنما فعال، ينزل إلى الميدان. إذا نزل إلى الميدان كان على وعي كبير.

أنا أحب أن أختم بدقيقتين وأن أقرأ لكم شيئاً من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام).

خطبة أمير المؤمنين (عليه السلام) في "وكان لي أخ في الله[٣]". أقرأها عليكم سريعاً. هذه الخطبة تلخص ما قلناه، تلخص هذه الفكرة بشكل كامل.

قال (عليه السلام) (هذا من نهج البلاغة): ((كان لي فيما مضى أخٌ في الله، وكان يُعظمه في عيني (أي يجعله عظيماً) صِغَرُ الدنيا في عينه)). (هل ترون التناظر؟ يُعظمه في عيني صغر الدنيا في عينه).

((وكان خارجاً من سلطان بطنه، فلا يشتهي ما لا يجد، ولا يُكثر إذا وجد)). عجيب، واقعاً الإنسان يجب أن يتأمل هذه الكلمات العظيمة.

((وكان أكثر دهره صامتاً، فإن قال: بَذّ القائلين)) أسكت القائلين، ولكنه حينما يقول يسكت القائلين ((ونَقَع غليل السائلين)) أشفى غليل السائلين، الذي يسأله يعطيه جواباً يشفي غليله.

((وكان ضعيفاً مستضعفاً، فإن جاء الجِدّ: فهو ليث عادٍ)) (أسد) ((وصِلُّ وادٍ)) (أفعى شرسة).

[٣] - نص الحديث: ((كان لي فيما مضى أخ في الله: كان يعظّمه في عيني؛ صغر الدنيا في عينه.. وكان خارجاً من سلطان بطنه، فلا يشتهي ما لا يجد، ولا يكثر إذا وجد.. وكان أكثر دهره صامتاً، فإن قال بذ القائلين، ونقع غليل السائلين.. وكان ضعيفاً مستضعفاً، فإن جاء الجد فهو ليث عاد، وصل واد، لا يدلي بحجة حتى يأتي قاضياً.. وكان لا يلوم أحدا على ما لا يجد العذر في مثله، حتى يسمع اعتذاره.. وكان لا يشكو وجعاً، إلا عند برئه.. وكان يفعل ما يقول، ولا يقول ما يفعل.. وكان إن غلب على الكلام، لم يغلب على السكوت.. وكان على أن يسمع، أحرص منه على أن يتكلم.. وكان إذا بدهه أمران: نظر أيهما أقرب إلى الهوى فخالفه.. فعليكم بهذه الخلائق فالزموها، وتنافسوا فيها)). بحار الأنوار ج: ٦٧ ص:٣١٤

((لا يدلي بحجة حتى يأتي قاضياً)) (يعني حجته تكون هي الحجة القاضية القاطعة التي لا يأتي بعدها شيء).

((وكان لا يلوم أحداً على أمر يجد العذر في مثله، حتى يسمع اعتذاره)). (هذه من أعجب الكلمات. لا يلوم أحداً على أمر يجد العذر في مثله).

فإن لم يجد عذراً في حالة مماثلة، يلوم، لكن إذا كانت هنالك حالة مماثلة وكان لها عذر، لا يلوم أحداً. فإن لم يكن لتلك الحالة مثل، حالة جديدة، لا يلوم، ينتظر يسمع العذر ثم بعد ذلك يقرر، لا يستعجل.

ترون كم أن الملامة المستعجلة تفسد العلاقات، تدمّر العلاقات! الملامة المستعجلة آفة العلاقات بين الناس، لا تستعجل.

((وكان لا يشكو وجعاً إلا عند الله)).

ما دام هو موجوع. فإذا يذهب ويسعى، يعالج نفسه، لا أن يهمل نفسه. لكن لا يشتكي: "أنا كذا وأنا كذا وعندي كذا وبيَ كذا ويدي كذا ورأسي كذا وظهري كذا". أبداً.

هذا كله بناء، هذا تنمية بشرية في أعلى المراتب. هذه شخصية. شخصية.

((وكان يفعل ما يقول، ولا يقول ما لا يفعل)).

((وكان إن غُلِبَ على الكلام، لم يُغلب على السكوت)). الغلبة في السكوت يعني الاستفزاز. يغلب على سكوته يعني يستفز فينطق في غير محل النطق.

(يُخرَج من صمته). هذا المقصود.

فبالتالي هو في السكوت لا يغلب. لا يُغلب على السكوت، أي لا يُستفز

لا يستطيعون استفزازه أبداً.

((وكان إذا بَدَهَهُ أمران)) (إذا توجّه إليه أمران) ((نظر أيهما أقرب إلى الهوى فخالفه)). (عجيب!)

((وكان إذا بَدَهَهُ أمران، نظر أيهما أقرب إلى الهوى فخالفه)).

الآن حالتان، لو أذهبت أكمل عملي أو أقضي وقتي نائما. على الهوى مع من؟ (تعبان). لا، اذهب إلى الجهة الثانية. حرام وحلال. الهوى مع من؟ مع الحرام. لا، اذهب إلى الجهة الثانية.

مفهوم عام. كل سطر عبارة عن حل اجتماعي جذري. كل سطر لو طُبّق مقطع واحد هو حل لكل مشاكل الإنسان.

ثم يقول سلام الله عليه: ((فعليكم بهذه الأخلاق فالزموها وتنافسوا فيها)).

واقعي جداً يقول: "فإن لم تستطيعوها" (لا تقدر) "فاعلموا أن أخذ القليل خير من ترك الكثير".

ختام جميل جداً وواقعي. يعني أنت لما تطرح فكرة، كن واقعيا، لا تكن مثالياً. يعطيك الفكرة، يعطيك الحل، وبالأخير تكون واقعياً.

((فعليكم بهذه الأخلاق فالزموها وتنافسوا فيها)). هذه المنافسة الحقيقية، هذا مفهوم التنافس. الشطارة هنا، هذه الشطارة، هذه الإمكانية، هذا الشيء الصحيح الذي يجب أن يُعطى. هذا هو الصحيح. هذا الامتياز الحقيقي، وليس الامتياز بالمظاهر ولا بالبطولات الهوجاء الفارغة.

هذا الذي قرأناه هو تطبيق لما قدمناه. هذا هو الإنسان المؤمن في عصر الغيبة.

كل واحد يرجع منا يفكر ويحاسب نفسه: هل أستحق أن أكون رب أسرة؟ هل أستحق أن أكون أنا مسؤولاً من قبل الله سبحانه وتعالى؟ الله سبحانه وتعالى أعطاني امتيازات إدارية داخل الأسرة. أعطاني امتيازات إدارية، جعل بيدي امتيازات إدارية. ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾[٤]. توجد امتيازات إدارية، هذا امتياز حقيقي، تفاضلي، طبقي، امتياز إداري.

هذا الامتياز الإداري هل أنت تستغله استغلالاً صحيحاً؟ هذه قضية تكوينية. امتياز إداري لك. أنت لديك امتياز إداري؛ الله سبحانه وتعالى جعلك مديراً عاماً.

ليس لأنك أفضل من بقية الموظفين، لكن أنت يجب أن تكون مديراً عاماً. لابد أن يكون هنالك مدير عام بهذه الأسرة. ليس لفضل عليك ذاتي، وإلا الفضل بالتقوى، الفضل بهذه الأخلاق التي ذكرناها. هذا التنافس الحقيقي، هذا أفضل من هذا إذا كان ملتزماً بهذه الأخلاق التي قرأناها. لكن أنت الآن هل تستحق هذا الامتياز من الله سبحانه وتعالى أو أنك لا تستحق؟

ونسأل الله لي ولكم التسديد والرعاية ورعاية مولانا صاحب الزمان سلام الله عليه، وعجّل الله فرجه الشريف. الله يحفظكم ويعطيكم الصحة والعافية ويدفع عنكم كل سوء وكل بلاء. وأنا سعيد أن أراكم في هذه الحالة. إن شاء الله لنا لقاءات أخرى ونستفيد معاً. واستغفر الله لي ولكم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

[٤] - [البقرة: ٢٢٨]